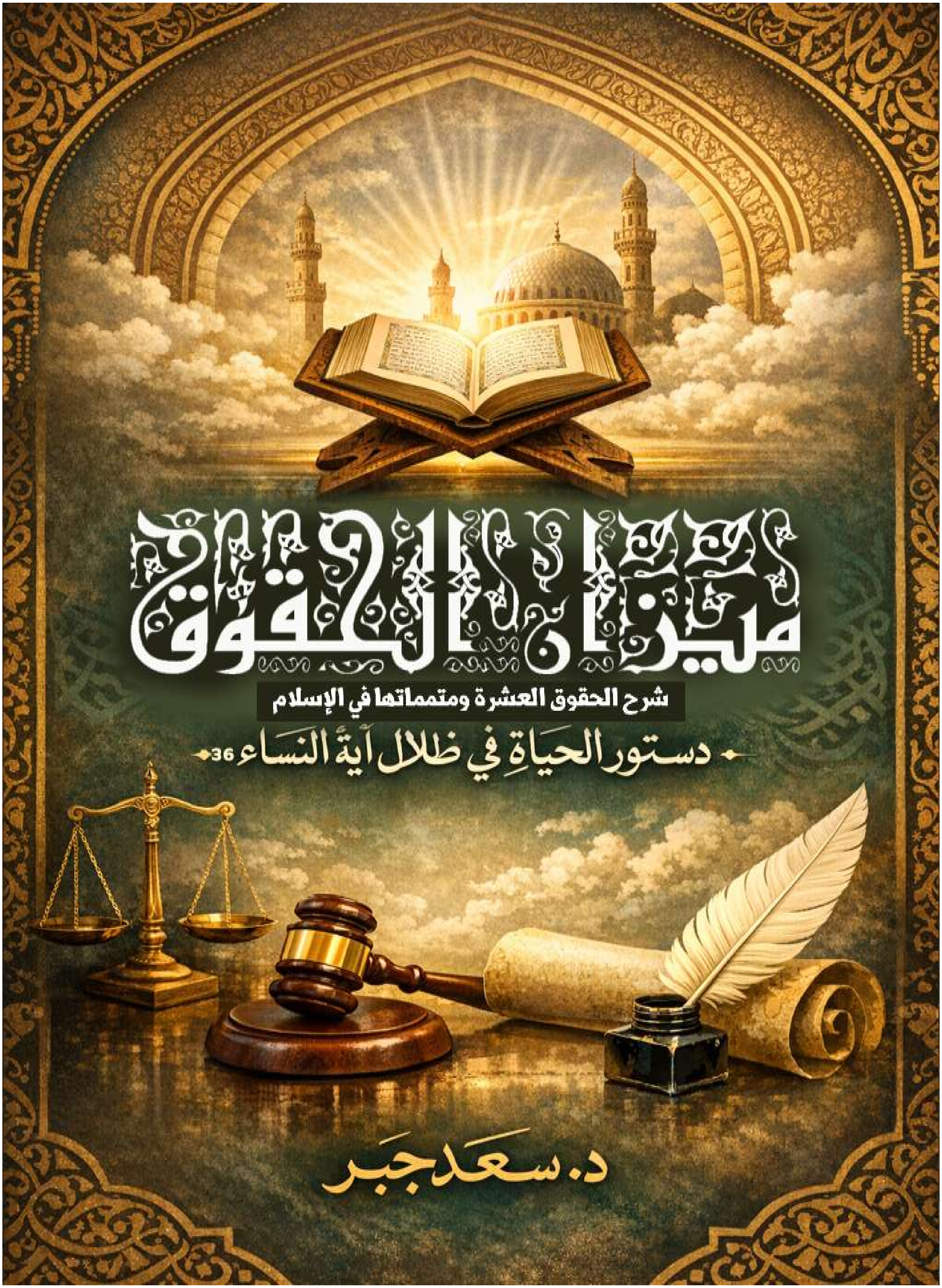

ميزان الحقوق
شرح الحقوق العشرة ومتمماتها في الإسلام
دستور الحياةِ في ظلال آيةَ النسَاء 36
د. سعَد جبَر

الحقوق الكبرى أو ميزان الحقوق

شرح الحقوق العشرة ومتمماتها في الإسلام

دستور الحياة في ظلال آية النساء 36

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على النبي الخاتم ومن والاه وبعد ،،

توطئة : عشت مع آية سورة النساء كثيرا والحقيقة أنّ من طبعي أن أتوقف كثيرا عند الآيات الجامعة كآية الكرسي:

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ
لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ
مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ
وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ
وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ
وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥

وآية الشورى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْۖ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: 15]



وآية المدثر:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [سورة المدثر: 31]

وغيرها وغيرها ، إلا أن آية النساء 36 جعلتني أتفكر وأتفكر فتوقفت وراجعت وقرأت فوجدت عجباً كما قال ربنا عن القرآن الكريم على لسان مؤمني الجن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا (1) يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا (2) " من سورة الجن "

ولما عزمت على شرح الآية الكريمة وتبيان الحقوق فيها باختصار وترتيب جديد قلت ماذا أسمي الكتاب فالعنوان هو "عتبة الكتاب" التي تجذب القارئ، وبما أن الكتاب يجمع بين العمق الشرعي واللمسة التربوية الواقعية، فكرت في عدة مسارات للعناوين لأختار الأقرب والأوفق فكان من المقترحات:

.1العناوين التأصيلية (تركز على الآية):

- **"عشرة النساء: الدستور الإلهي للحقوق الاجتماعية "(عنوان قوي يوحي بالمرجعية).**
- **"آية الحقوق العشرة: هندسة العلاقات في ظلال سورة النساء."**
- **"ميزان الحقوق: شرح الآية 36 من سورة النساء."**

.2العناوين الوجدانية (تركز على الإحسان والتراحم):

- **"تراتيل الإحسان: رحلة في الحقوق الكبرى "(عنوان أدبي وجذاب).**
- **"جبر الخواطر: كيف نظمت آية النساء حياة البشر؟."**
- **"بوابات الرحمة: عشرة حقوق تبني أمة وتُحيي قلباً."**



.3العناوين العملية/الواقعية (تركز على بناء المجتمع):

- **"الحقوق الكبرى: خارطة الطريق لمجتمع متراحم."**
- **"فن التعايش: أضواء على آية الحقوق العشرة."**
- **"إعادة بناء المجتمع: رؤية قرآنية من خلال آية النساء."**

.4العناوين القصيرة والمركزة (ذات طابع عصري):

- **"عقد الحقوق."**
- **"منهج الإحسان."**
- **"الحقوق العشرة."**

ومع ذلك استقر العنوان على ما رأيتم على الغلاف

والحقيقة أن آية الحقوق العشرة وهي الآية **36من سورة النساء،** التي نظمت علاقة العبد بربه وبالخلق، وتعد دستوراً شاملاً للحقوق الاجتماعية والإنسانية في الإسلام، حيث بدأت بتوحيد الله وثنت ببر الوالدين وأتبعتها بحقوق الأقارب والجيران والضعفاء.

الآية الكريمة قوله تعالى :

{وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: 36].

والحقوق العشرة المذكورة في الآية:

1. **حق الله :**عبادته وحده لا شريك له.
2. **حق الوالدين :**الإحسان إليهما بالقول والفعل.
3. **حق ذي القربى :**صلة الأقارب وبرهم.
4. **حق اليتامى :**الإحسان إليهم وحفظ أموالهم.
5. **حق المساكين :**مساعدتهم وسد حاجاتهم.
6. **الجار ذي القربى :**الإحسان للجار الذي بينك وبينه قرابة.



7. **الجار الجنب :**الإحسان للجار البعيد أو غير القريب.

8. **الصاحب بالجنب :**الرفيق في السفر، الزوجة، والصديق.

9. **ابن السبيل :**المسافر المنقطع الذي يحتاج للمساعدة.

10. **ما ملكت أيمانكم :**الخدم والعمال والرفق بالحيوان .

تختم الآية بالنهي عن الاختيال والفخر، تعزيزاً للتواضع وحسن المعاملة .

الفهرس المختصر للكتاب



مقدمة الكتاب

بوابات الرحمة والحقوق

الحمد لله الذي جعل الإحسان طريقاً لوصله، وجعل حقوق الخلق باباً من أبواب عبادته، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي أرسى قواعد العدل بفعله قبل قوله، وعلى آله وصحبه الذين كانوا "قرآناً يمشي على الأرض".

أما بعد؛

فإن الباحث في دستور الإسلام الاجتماعي يجد نفسه أمام آيةٍ عظيمة في سورة النساء، هي الآية السادسة والثلاثون، التي اصطلح العلماء على تسميتها بـ **"آية الحقوق العشرة"**. هذه الآية ليست مجرد نصٍ يُتلى، بل هي خارطة طريقٍ شاملة، ونظام حياةٍ متكامل، يربط السماء بالأرض، والعقيدة بالمعاملة، والروح بالمجتمع.

لقد بدأت الآية بأعظم الحقوق وهو حق الله في التوحيد: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]**، وكأنها تخبرنا أنَّ الإحسان إلى الناس لا يستقيم ولا يدوم إلا إذا كان منطلقاً من تعظيم الخالق. ثم انسابت الحقوق بعدها في دوائر متصلة؛ بدأت بالوالدين، ثم الأقارب، ثم الضعفاء، وصولاً إلى عابر السبيل، لتشمل كل فئات المجتمع بلا استثناء.

لماذا هذا الكتاب؟

في زمنٍ تسارعت فيه خطى الحياة، وطغت فيه المادّية، وبدأت الروابط الاجتماعية بالذوبان، صرنا في أمسّ الحاجة إلى العودة إلى "الأصول". يأتي هذا الكتاب "الحقوق الكبرى" ليُعيد إحياء هذه المعاني في القلوب، وليحوّل النصوص الجامدة إلى ممارساتٍ حية. نحن لا نبحث هنا في الترف الفكري، بل نبحث عن "الأمان الاجتماعي" و"السكينة الروحية" التي لا تتحقق إلا بأداء هذه الحقوق.

منهجنا في الكتاب:

لقد وضعنا لهذا الكتاب هيكلاً يجمع بين التأصيل الشرعي والتطبيق الواقعي، فقسمناه إلى أحد عشر فصلاً؛ عشرة منها تشرح بنود الآية الكريمة، وفصلاً متمماً يربطنا بالأصل الثاني وهو حق الرسول ﷺ وحق النفس. وفي كل فصل، ستجد -أخي القارئ- وقفات مع:

1. **أنوار نبوية:** من أحاديث المصطفى ﷺ.



2. **من وحي السيرة:** مواقف تطبيقية من حياة النبوة.
3. **فقه الواقع:** كيف نعيش هذه الحقوق في عالمنا المعاصر.
4. **وتوصيات عملية وتمارين تطبيقية .**

إن الهدف من هذا العمل هو أن نخرج من دائرة "المختال الفخور" الذي ذمته الآية في ختامها، لنكون من أهل "الإحسان" الذين يحبهم الله ويرضى عنهم.

نسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، ويجعله لبنةً في بناء مجتمعٍ تراحم، يسير بهدي القرآن وسنة سيد الأنام.

الفصل الأول

حق الله تعالى.. العبودية كمنطلق للتحرر

لقد افتتحت آية الحقوق الكبرى بنصٍ حاسم وقاعدةٍ صلبة يبنى عليها ما بعدها: **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]**. وهذا البدء ليس مجرد ترتيبٍ رقمي، بل هو ترتيب استحقاقي؛ فحق الخالق يسبق حق المخلوق، والقيام بحق الله هو الوقود النفسي والشرعي الذي يدفع الإنسان للإحسان إلى الوالدين واليتامى والمساكين.

أولاً: كمال المعرفة وجمال التوحيد

إن أول حق لله على عبده هو "المعرفة"؛ فلا تُعبد ذاتٌ لا تُعرف. والمعرفة هنا تشمل الإيمان بوجوده سبحانه، وتفرده بالخلق والتدبير، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلا التي تملأ القلب هيبة ومحبة. يقول العلامة السعدي في تفسيره: "الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له هو أصل الأصول، وقاعدة الاديان، وبحسب القيام به تقبل الأعمال وتزكو النفوس" [السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص177]. إن توحيد الله هو الذي يحرر الإنسان من العبودية للمادة، أو الهوى، أو البشر؛ فحين يعلم العبد أن ربه هو (الرزاق، القوي، الرحيم)، يتوجه بقلبه لجهة واحدة، فيتحرر من التشتت والشتات.



ثانياً: المحبة والخوف والرجاء (أركان العبادة القلبية)

حق الله على العباد لا يتوقف عند الإقرار اللساني، بل يمتد ليكون منظومة شعورية متكاملة. فأعظم حقوقه أن يكون "أحبَّ إلينا مما سواه"، وهي المحبة التي تدفع للالتزام بأوامره طواعيةً واختياراً. ويقترن بهذه المحبة "خوف الإجلال" لا خوف الذعر؛ فهو سبحانه يُخاف لعدله وعظمته، ويُرجى لفضله ورحمته. يوضح الإمام ابن القيم أن القلب في سيره إلى الله يشبه الطائر؛ "المحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه" [ابن القيم، مدارج السالكين، ج1، ص513]. فمتى سلم الرأس والجناحان طار الطائر، ومتى قطع الرأس مات، ومتى فقد الجناحان وقع فريسة لكل صائد.

ثالثاً: امتثال الأوامر وإخلاص الطاعة

إن مقتضى العبودية الحقّة هو "الاستسلام" لأمر الله؛ بحيث لا يجد العبد في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله. وهذا التزامٌ يشمل أداء الفرائض واجتناب المحرمات، مع الحرص على "الإخلاص" في كل حركة وسكنة. فالآية لم تقل "اعبدوا الله" فقط، بل أتبعتها بقوله: **﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾**، لتنفي الشرك الأكبر، والشرك الأصغر كالرياء، ليكون العمل خالصاً لوجه الكريم.

أنوار نبوية

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رِدْفَ النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يا معاذ، أتدرِي ما حقُّ الله على العباد، وما حقُّ العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقَّ العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» [رواه البخاري، رقم 2856]. هذا الحديث هو الوثيقة النبوية التي تحدد جوهر العلاقة بين الخالق والمخلوق؛ عبادةٌ خالصة يقابلها أمانٌ من العذاب.

من وحي السيرة (قصة مؤثرة)

تتجلى روعة الانقياد لحق الله في قصة **عمير بن الحمام رضي الله عنه** يوم بدر. فحين سمع رسول الله ﷺ يقول: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض»، لم يحل بينه وبين القيام بحق الله (الجهاد) أيُّ عائق مادي. أخرج تمرات ليأكلهن، ثم نظر إليها وقال: "لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة!" [رواه مسلم، رقم 1901]. فرمى بالتمرات وقاتل حتى قُتل. هذه الصورة تمثل ذروة "التحرر" من شهوة النفس لصالح "العبودية" لله؛ فقد تحرر عمير من غريزة البقاء ليظفر بحق الإيمان والوفاء بالعهد مع الله.

فقه الواقع: كيف نؤدي حق الله اليوم؟

في عصرنا المادي، يتجلى أداء حق الله في "تعظيم شعائره" وسط ضجيج الحياة. حين تترك عملك لتؤدي الصلاة في وقتها، أنت تمارس "حق الله". حين ترفض مالاً حراماً لأن الله "الرقيب" يراك،



أنت تحقق "توحيد المراقبة". إن حق الله اليوم هو أن نجعله "المقصود" في كل عمل، وأن نستشعر أن طاعتنا له هي تحررٌ لنا من ضغوط الحياة ومن الخضوع لغيره.

- **تمرين القلوب**: خصص عشر دقائق الليلة قبل النوم لـ "خلوة اعتراف"؛ استشعر فيها مراقبة الله لك، وجدد توحيدك بقول: "لا إله إلا الله" بقلبٍ حاضر، ثم اسأله أن يفرغ قلبك من التعلق بغيره.
- **خطوة عملية**: اختر عبادة واحدة (كصلاة ركعتين أو ذكر مخصوص) واجعلها سراً بينك وبين الله تماماً، لا يعلم بها أحد من خلقه، لتدريب نفسك على الإخلاص.

الفصل الثاني

حق الوالدين.. جنة الأرض وبركة العمر

بعد أن رسخت الآية الكريمة حق الخالق، انتقلت مباشرة وبدون فاصل إلى حق المخلوق، فبدأت بأحق الناس بالرعاية وأولاهم بالإحسان: **﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: 36]**. وهذا الاقتران بين توحيد الله وبر الوالدين في مواضع عديدة من القرآن يدل على أن البر هو "أعظم شكر" يقدمه الإنسان لمن كانا سبباً في وجوده بعد الله عز وجل.

أولاً: مرتبة الإحسان (ما وراء الواجب)

لم يقل الله "وبالوالدين عدلاً" أو "طاعة"، بل قال "إحساناً". والإحسان مرتبة تفوق الواجب؛ فهو بذل المحبوب، وتحمل المكروه، ومقابلة الإساءة بالصفح. يقول الإمام القرطبي في تفسيره: "الإحسان إلى الوالدين هو معاشرتهما بالمعروف، وبذل الجهد في طاعتهما، واجتناب ما يشق عليهما" [القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص183]. إن هذا الحق يقتضي الرفق في القول، والرحمة في الفعل، والتذلل لهما بالقلب والبدن، خاصة عند كبر السن وضيق الصدر.

ثانياً: شكر المنعم الواسطة

لقد أمر الله العبد بشكره وشكر والديه في آية واحدة: **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: 14]**. فالوالدان هما "المنعم الواسطة"؛ فالأب ببذله وكدحه، والأم بحملها ووضعها وإرضاعها، قدما تضحيات لا يكافئها إلا البر المطلق. إن الإخلال بهذا الحق هو في حقيقته "جحود" بالمعروف، لذا



كان عقوق الوالدين من "الكبائر" التي تحجب صاحبها عن الجنة، وتُعجل له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

أنوار نبوية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أبوك» [رواه البخاري، رقم 5971]. وفي تكرار الأم ثلاثاً لفتة نبوية إلى حجم العناء النفسي والبدني الذي تتحمله، وإشارة إلى أن "حق الوالدين" لا يخضع لموازين المصلحة، بل لموازين المودة والوفاء.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في البر)

1. **قصة أويس القرني:** هذا الرجل الذي لم يره الصحابة، ولكن النبي ﷺ أخبرهم عنه وأمر عمر بن الخطاب أن يطلب منه الاستغفار. ما الذي رفعه إلى هذه المكانة؟ أخبر النبي ﷺ أن سبب ذلك هو "بره بأمه"؛ فقد كانت له أم هو بها بر، حبسته عن الهجرة والصحبة لخدمتها، فرفع الله ذكره في السماء والأرض بفضل هذا البر [رواه مسلم، رقم 2542].
2. **زين العابدين علي بن الحسين:** قيل له: إنك أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة (إناء) واحدة؟ فقال: "أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها". وهذا يمثل أدق درجات الإحسان وهو "توقع رغبات الوالدين" قبل أن يطلباها.
3. **محمد بن المنكدر:** كان أحد العبّاد التابعين، يقول عن نفسه: "بات أخي عمر يصلي، وبتُّ أغمز (أدلك) قَدَم أمي، وما أحبُّ أن ليلتي بليلته". فهو يرى أن خدمة قدم الأم أفضل من قيام الليل كله نفلاً.

فقه الواقع: كيف نبر والدينا اليوم؟

في عصر "الشاشات" والانشغال الدائم، يتلخص البر اليوم في ثلاث نقاط:

- **الحضور القلبي:** ليس البر أن تزور والديك وأنت مشغول بهاتفك، بل البر في "النظر إليهما بمودة" والاستماع لحديثهما المكرر بإنصات كأنك تسمعه لأول مرة.
- **النفقة والخدمة:** أن تبذل مالك لهما قبل أن يسألا، وأن تشعرهما بأن مالك وولدك هما ملك لهما، كما قال النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك».
- **البر بعد الموت:** وهو الحق المستمر؛ بالدعاء لهما، والصدقة عنهما، وصلة أصدقائهما وأقاربهم الذين لا يوصلون إلا بهما.



تمرين القلوب :انظر اليوم إلى والديك (أو أحدهما) "نظرة رحمة" واستحضر ذكريات طفولتك وتضحياتهما، ثم قل: "ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً" بيقين.

خطوة عملية :قَبِّل يد والديك اليوم، واسألهما: "هل أنتما راضيان عني؟"، وافعل شيئاً واحداً يحبانه دون أن يطلبا منك ذلك.

الفصل الثالث

حق ذي القربى.. شجرة النسب وظلال الصلة

بعد أن أحكمت الآية وثاق العلاقة مع الوالدين، توسعت الدائرة لتشمل "أولي الأرحام"، وهم الغصون المتفرعة من أصل الشجرة: **﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: 36].** إن حق القرابة في الإسلام ليس مجرد علاقة دم اجتماعية، بل هو "شجنة" من الرحمن، من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله.

أولاً: التأصيل الشرعي لحق القرابة

يأتي حق ذي القربى في المرتبة الثالثة بعد حق الله والوالدين، مما يشير إلى أن القرابة هي السياج الحامي للأسرة والمجتمع. وكلمة "الرحم" مشتقة من "الرحمة"، وفي هذا لفتة إلى أن التعامل مع الأقارب يجب أن يقوم على اللين والتغافل لا على المحاسبة والندية. يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "أمر الله تعالى بالإحسان إلى الأقارب من جهة الأب والأم، والصلة التي أمر الله بها أن تُوصل هي ألا يقطع الإنسان قرابته بمكروه، بل يحسن إليهم بقدر الطاقة" [ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص298].

ثانياً: شمولية الحق (بذل المال والمودة)

حق القربى ليس مجرد زيارة في العيد، بل هو حق مركب من:

1. **الصلة المالية:** فالقريب المعوز أولى بالصدقة من غيره؛ كما قال النبي ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» [رواه الترمذي، رقم 658].
2. **الصلة المعنوية:** بمشاركتهم الأفراح، ومواساتهم في الأتراح، والنصيحة لهم، وكف الأذى عنهم، وسلامة الصدر من الحسد تجاه ما آتاهم الله من فضله.



ثالثاً: مرتبة "الواصل" الحقيقي

بين النبي ﷺ أن الصلة الحقيقية ليست "المعاملة بالمثل"، بل هي صلة من قطعك. فليس الواصل هو الذي يزور من يزوره، بل هو الذي إذا قُطعت رحمه وصلها. هذا الترفع عن الخصومات هو الذي يحقق مقصود الشريعة من جمع الكلمة وتأليف القلوب.

أنوار نبوية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي؟ فقال ﷺ: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسفُّهم المَلَّ (الرماد الحار)، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك» [رواه مسلم، رقم 2558]. وفي هذا الحديث طمأنة لكل من يعاني من جفاء أقاربه بأن الله ناصره ومؤيده.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في الصلة)

1. **أبو بكر الصديق ومِسْطح بن أثاثة:** كان مسطح بن أثاثة قريباً لأبي بكر، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره وقرابته. وحين وقع مسطح في "حادثة الإفك" وتكلم في حق عائشة رضي الله عنها، قطع أبو بكر عنه النفقة. فنزل قول الله تعالى: **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ... أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: 22].** فبكى أبو بكر وقال: "بلى، أحب أن يغفر الله لي"، وأعاد النفقة لمسطح خيراً مما كانت. فغلب حق القرابة والفضل على حظ النفس.
2. **الزبير بن العوام وحكيم بن حزام:** كان حكيم بن حزام يصل رحمه في الجاهلية والإسلام، وكان الزبير بن العوام يقول: "ما ترك حكيم بن حزام لنا قرابة إلا وصلها". وقيل إن حكيم بن حزام باع داراً بمائة ألف درهم، فتصدق بها كلها على ذوي قرابته، فعوّضه الله بركة في ماله ونسله.
3. **عبد الله بن عمر وبرُّ أصدقاء والده:** كان ابن عمر رضي الله عنهما يسير في طريق مكة، فلقيه أعرابي، فنزل عن حماره وحمله عليه، ونزع عمامته فأعطاه إياها. فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، إنهم أعراب يرضون بالقليل؟ فقال: "إن هذا كان صديقاً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أبر البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه" [رواه مسلم، رقم 2552]. فإذا كانت صلة أصدقاء الأب براً، فكيف بصلة ذوي الرحم أنفسهم؟



فقه الواقع: صلة الرحم في زمن "القطيعة الرقمية"

- **تجاوز "الجروبات" الافتراضية:** لا تكفي رسالة "واتساب" جماعية لتأدية حق القربى؛ فالصلة الحقيقية تقتضي الزيارة والاتصال الشخصي وسماع الصوت وتفقد الأحوال.
- **الإحسان إلى "القريب المشاكس":** العائلة لا تخلو من شخص "صعب المراس"، والإحسان إليه هو اختبار صدق إيمانك، فاجعل صلتك له لله لا لأجله.
- **توريث الصلة للأبناء:** لا تحكِ لأبنائك عن خلافاتك مع أعمامهم أو أخوالهم، بل ربِّهم على احترام الكبير وعطف الصغير، لتبقى شجرة العائلة خضراء ممتدة.

تمرين القلوب :ابحث في ذاكرتك عن قريب "بينك وبينه جفاء"، وانوِ بقلبك العفو عنه لوجه الله لتكون أنت "الواصل" الحقيقي.

خطوة عملية :أرسل رسالة خاصة أو اتصل بقريب لم تتحدث معه منذ شهر، واسأل عن حاله بصدق دون مصلحة دنيوية.

الفصل الرابع

حق اليتامى.. الرعاية والجبر

بعد أن نظمت الآية الكريمة دائرة القرابة والدم، انتقلت لتنظيم دائرة "الضعف الإنساني"، فبدأت باليتامى: **﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ [النساء: 36]**. واليتيم في الشرع هو من فقد أباه ولم يبلغ الحلم. ولما كان اليتيم قد فقد "السند الأرضي" الذي يحميه وينفق عليه، جعل الله نفسه سبحانه ولياً له، وأوجب على المجتمع أن يكون كفيله وسنده.

أولاً: التأصيل الشرعي لحق اليتيم

لقد تكرر ذكر اليتامى في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعاً، مما يدل على عظم هذا الحق. واليتيم ليس بحاجة إلى المال فحسب، بل هو بحاجة إلى "الجبر النفسي". يقول الإمام القرطبي: "أمر الله بالإحسان إلى اليتامى وتطييب نفوسهم، لأن اليتيم ذليل لا ناصر له إلا الله، فجعل الله له حقاً في قلوب المؤمنين وأموالهم" [الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص185]. إن كفالة اليتيم في الإسلام ليست "تفضلاً"، بل هي "حق" اجتماعي وواجب ديني.

ثانياً: شمولية الإحسان (المال والعاطفة)

حق اليتيم في الإسلام يتوزع على مسارين:

1. **حماية ماله:** وهو من أشد الحقوق صرامة، فقد حذر القرآن من أكل أموال اليتامى ووصفه بأنه "أكل للنار"، وأمر بالولاية العادلة على أموالهم حتى يكبروا.
2. **رعاية نفسه:** بالإحسان إليه في الخطاب، والمسح على رأسه، وتعليمه وتأديبه كما يؤدب الرجل ولده، دون إشعار بكسر أو ذلة.

ثالثاً: اليتيم ميزان لقسوة القلوب

جعل الإسلام التعامل مع اليتيم علاجاً لمرض "قسوة القلب". فمن أراد أن يلين قلبه وتُقضى حاجته، فعليه باليتيم. إن القرب من اليتيم هو قرب من الرحمة الإلهية، والبعد عنه أو نهره هو علامة من علامات تكذيب الدين كما في قوله تعالى: **﴿فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: 2].**

أنوار نبوية

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين»، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً [رواه البخاري، رقم 6005]. هذا الوعد النبوي هو أعلى وسام يمكن أن يناله بشر؛ "مرافقة النبي ﷺ في الجنة"، وهي منزلة لا تُنال بمجرد الصلاة والصيام، بل بـ "جبر الخواطر" المنكسرة.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في الجبر)

1. **النبي ﷺ وأبناء جعفر بن أبي طالب:** لما استشهد جعفر رضي الله عنه بـ "مؤتة"، أتى النبي ﷺ أهله، فدعا بني جعفر، فجيء بهم كأنهم أفراخ، فقال: «ادعوا لي الحلاق»، فأمر به فحلق رؤوسهم، ثم قال: «أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي»، ثم أخذ بيد عبد الله فقال: «اللهم أخلف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» [رواه النسائي وصححه الألباني]. هنا نرى الرعاية "الأبوية" في أدق تفاصيلها؛ المسح، والحلاقة، والدعاء، والاحتضان.
2. **أبو الدحداح واليتيم:** تذكر الروايات أن يتيماً اختلف مع رجل في نخلة، فحكم بها النبي ﷺ للرجل، فبكى اليتيم. فاشترى أبو الدحداح النخلة من الرجل بـ "بستانه كله" (وكان فيه ستمائة نخلة) ليعطيها لليتيم طلباً لنخلة في الجنة. هذه القصة تبرز كيف كان الصحابة يبذلون الغالي والنفيس لجبر خاطر يتيم واحد.



3. **ابن عمر واليتامى:** كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يأكل طعاماً إلا وعلى مائدته يتيم، وكان يقول: "إذا أكلت ومعك يتيم، فكأنما أكلت مع رسول الله ﷺ"، إشارةً إلى القرب المعنوي من هدي النبي ومحبته.

فقه الواقع: كيف نمارس حق اليتيم اليوم؟

- **الكفالة العصرية:** لا تقتصر الكفالة على إرسال مبلغ مالي شهري (رغم أهميته)، بل تشمل "الكفالة التربوية"؛ بتفقد دراسة اليتيم، وزيارته في الأعياد، وتقديمه للمجتمع كفرد ناجح.
- **الرفق النفسي:** الحذر من "التشهير" باليتامى في تصوير المساعدات، فكرامة اليتيم أغلى من الصدقة المقدمة له.
- **المؤسسات الموثوقة:** المساهمة في بناء دور الأيتام والمدارس التي تضمن لهم مستقبلاً كريماً يحميهم من الضياع أو الاستغلال.

تمرين القلوب :استشعر فقد السند الذي يعيشه اليتيم، واحمد الله على نعمك، ثم انوِ أن تكون "أباً/أماً" لكل يتيم تراه في طريقك.

خطوة عملية :ساهم ولو بمبلغ يسير (عبر منصة موثوقة) في كفالة يتيم، أو اشترِ هدية بسيطة ليتيم تعرفه وامسح على رأسه بحنان.

الفصل الخامس

حق المساكين.. التكافل وسد الخلّة

بعد أن جبرت الآية كسر اليتيم الذي فقد "السند"، انتقلت لجبر كسر المسكين الذي فقد "الوسيلة": ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: 36]. والمسكين هو الذي أسكنته الحاجة وأذلّه الفقر، حتى عجز عن كفاية نفسه وأهله. لقد جعل الله للمساكين حقاً معلوماً في أموال الأغنياء، ليس من قبيل المنة أو الفضل، بل هو ردٌّ لودائع الله التي ائتمن عليها أصحاب الأموال.



أولاً: التأصيل الشرعي لحق المسكين

يفرق العلماء بين الفقير والمسكين، فالمسكين قد يملك شيئاً لكنه لا يكفيه، وهو "المتعفف" الذي قد لا يشعر الناس بحاجته. يقول الإمام ابن كثير: "المساكين هم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قُوتهم وكسوتهم ومسكنهم، فأمر الله بالإحسان إليهم لسد خلتهم ورفع حاجتهم" [تفسير القرآن العظيم، ج2، ص299]. إن حقهم في الإسلام يتجاوز لقمة الطعام إلى "كفاية العيش" التي تحفظ كرامة الإنسان من ذل السؤال.

ثانياً: شمولية الإحسان (الإطعام والمواساة)

حق المسكين في هذه الآية يشتمل على مسارين متلازمين:

1. **الصلة المادية:** وهي سد الجوع وكسوة البدن وتأمين المسكن، وهذا حق مالي واجب (الزكاة) ومستحب (الصدقة).
2. **الصلة المعنوية:** وهي التواضع لهم، والبشاشة في وجوههم، وعدم الترفع عليهم. فختام الآية بالنهي عن "الاختيال والفخر" هو رسالة موجهة لمن يعطي المساكين بلسانٍ حاد أو قلبٍ متكبر.

ثالثاً: مرتبة "الساعي على المسكين"

لم يحث الإسلام على مجرد الصدقة العابرة، بل حث على "السعي"، أي الاهتمام المستمر والبحث عن أحوالهم. فالساعي على المسكين هو مجاهد في سبيل الله، وهو في مقام القائم الذي لا يفتر والصائم الذي لا يفطر، لعظم الأثر الذي يتركه في استقرار المجتمع ونشر المحبة.

أنوار نبوية

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار» [رواه البخاري، رقم 5353]. وهذا الحديث يرفع العمل الاجتماعي لسد حاجات المساكين إلى مرتبة أسمى العبادات الشعائرية، تأكيداً على أن دين الإسلام دين إنساني بقدر ما هو رباني.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في التواضع والبذل)

1. **النبي ﷺ وطعام المساكين:** كان النبي ﷺ يحب المساكين ويقربهم، ومن دعائه المشهور: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين» [رواه الترمذي]. وكان يجلس معهم على الأرض ويأكل معهم، ولم يكن يأنف من المشي مع الأرملة والمسكين في



حاجتهما حتى يقضيها لهما. وفي هذا أعظم درس في تحطيم "الاختيال والفخر" أمام حاجات الناس.

2. **علي بن الحسين (زين العابدين):** كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق بها، ويقول: "إن صدقة السر تطفئ غضب الرب". ولما مات وغسلوه، وجدوا على ظهره آثاراً سوداء، فسألوا عنها، فقالوا: "هذا مما كان يحمل من جرب الدقيق ليلاً إلى منازل المساكين". فقد كان يعيل مائة أهل بيت في المدينة لا يدرون من يعيلهم حتى مات [صفة الصفوة، ج2، ص96].
3. **عبد الله بن جعفر الجواد:** كان يُسمى "أبو المساكين"، لشدة بره بهم. قيل له يوماً: إنك تعطي المساكين الكثير وهم يرضون بالقليل؟ فقال: "إن الله عوّدني عادة، وعوّدت خلقه عادة؛ عوّدني أن يفضل عليَّ، وعوّدت خلقه أن أفضل عليهم، فأخشى إن قطعت عادتي أن يقطع الله عادته عني".

فقه الواقع: كيف نؤدي حق المساكين اليوم؟

- **البحث عن "المتعففين":** المسكين الحقيقي في زماننا قد يكون جارك الذي يلبس ثياباً نظيفة لكنه لا يجد ثمن الدواء أو أقساط المدرسة. ابحث عن "المستورين" الذين لا يسألون الناس إلحافاً.
- **تمكين المساكين:** أفضل إحسان للمسكين القادر هو توفير "فرصة عمل" أو "أداة إنتاج" تغنيه عن السؤال، تطبيقاً للقاعدة: "علمني الصيد ولا تعطني كل يوم سمكة".
- **احترام الكرامة:** عند تقديم العون، احذر من جرح المشاعر أو التصوير المهين؛ فحق المسكين في كرامته أعظم من حقه في ماله.

تمرين القلوب :عند تناول طعامك اليوم، تذكر من لا يجد قُوت يومه، واستشعر مرارة الحاجة لتتحرك في قلبك نوازع الرحمة.

خطوة عملية :جهز "وجبة إضافية" أو كيس طعام يضم احتياجات أساسية، وأعطه لأول مسكين تصادفه في طريقك مع ابتسامة كريمة.



الفصل السادس

الجار ذي القربى.. حق الجوار والدم

بعد أن استوعبت الآية حقوق الضعفاء، انتقلت إلى تنظيم البيئة اللصيقة بالإنسان، فبدأت بـ: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ **[النساء: 36]**. والجار ذو القربى هو مَن يجمعك به "جوار المكان" و"قرابة الدم". وهنا تتضاعف المسؤولية؛ فالتقصير معه ليس خدشاً في حق الجوار فحسب، بل هو قطيعة للرحم أيضاً، والإحسان إليه هو "إحسانٌ مضاعف" يشدُّ أزر العائلة والمجتمع في آن واحد.

أولاً: التأصيل الشرعي (مراتب الجيران)

لقد قسّم العلماء الجيران بناءً على هذه الآية إلى ثلاث مراتب:

1. **جار له حق واحد:** وهو الجار الجنب (غير القريب) غير المسلم؛ فله حق الجوار.
2. **جار له حقان:** وهو الجار المسلم؛ فله حق الجوار وحق الإسلام.
3. **جار له ثلاثة حقوق:** وهو "الجار ذو القربى"؛ فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة [تفسير الطبري، ج8، ص344].

وهذا الترتيب الإلهي يعكس فقه "الأولويات"؛ فكلما اقتربت الرابطة، اشتدَّ وجوب الحق وعظم الإثم في تضييعه.

ثانياً: خصوصية حق "الجار القريب"

إن الجار ذا القربى يطّلع من أسرار جاره وقريبه ما لا يطّلع عليه غيره، لذا كان حقه في "الستر" و"المؤازرة" آكد. يقول الإمام السعدي: "والجار ذي القربى: أي الذي له حقان؛ حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره إحسانٌ بالقول والفعل أكثر من غيره" [تيسير الكريم الرحمن، ص177]. إن هذا الحق يمثل "شبكة الأمان" الأولى؛ ففي الأزمات، يكون القريب المجاور هو أول من يطرق الباب وأسرع من يغيث.

ثالثاً: مفسدات حق الجوار (الأذى والاختيال)

يرتبط هذا الفصل بختام الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾؛ فالجار القريب قد يقع في فخ "الفخر" بماله أو ولده أمام قريبه الفقير المجاور له، مما يوغر الصدور. لذا كان حق الجار ذي القربى مبنياً على "التواضع" و"المواساة" بالفضل والزيادة.



أنوار نبوية

عن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» [رواه البخاري ومسلم]. وفي هذا الحديث دليل على عظم قدر الجار مطلقاً، فكيف إذا انضم إلى الجوار حق القرابة؟ إن "التوريث" الذي ظنه النبي ﷺ يشير إلى أن الجار كاد أن يُلحق بالعصبة والأهل في الحقوق المادية، وهذا يجسد ذروة الالتحام الاجتماعي.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في الجوار والقرابة)

1. **عبد الله بن عمر وشاة جاره:** ذبح عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شاة في أهله، فلما فرغ قال لأهله: "أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟" ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصيني بالجار...» [رواه الترمذي]. فإذا كان ابن عمر شديد الحرص على جاره البعيد في الدين، فكيف كان حاله مع جاره القريب في الرحم؟ لا شك أنه كان يقدمه في كل عطاء وسؤال.

2. **أبو جهم وبيع داره:** أراد أبو جهم العدوي أن يبيع داره بمائة ألف درهم، ثم قال للمشتري: "بكم تشتري مني جوار سعيد بن العاص؟" (وكان سعيد جاره وقريبه)، قالوا: "وهل يُباع جوارٌ؟" قال: "ردوا عليَّ داري، والله لا أبيع جوار رجل إن قعدتُ سأل عني، وإن رآني رحب بي، وإن غبتُ حفظني، وإن شهدتُ قربني، وإن سألتُه أعطاني". فبلغ ذلك سعيداً، فبعث إليه بمائة ألف درهم وصرفه عن بيع داره. هذه القصة تبرز أن "الجار القريب" ثروة لا تُقدر بثمن مادي.

3. **الحسن البصري مع جاره:** يُروى أن الحسن البصري كان له جارٌ يتأذى منه، فكان الحسن يصبر عليه ويصل رَحمه بالهدايا والقول الحسن، ويقول: "ليس حُسن الجوار كفَّ الأذى، ولكن حُسن الجوار الصبر على الأذى".

فقه الواقع: كيف نعمر بيوتنا بحق "الجار القريب"؟

- **إحياء "التهادي":** تطبيق وصية النبي ﷺ: «إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»، وخاصة الأقارب منهم؛ فالهدية البسيطة تُذهب وغر الصدور وتجدد المودة.
- **ستر العورات وتفقد العوز:** في البيوت المتلاصقة، تظهر "العورات الاقتصادية"؛ كن أنت الستر لقريبك الجار، وتفقد حاجته بذكاء دون إحراج.
- **الاجتماع الدوري:** تخصيص لقاء دوري بين الجيران الأقارب (لقاء الجيرة والرحم) لتعزيز الروابط بين الأبناء والأحفاد، ومنع القطيعة التي قد تسببها مشاكل "الجدران المشتركة".



تمرين القلوب :استحضر قيمة "الدم والجوار" معاً، وانبذ أي خلاف على "حدود" أو "جدران" مع قريبك المجاور.

خطوة عملية :اهدِ "طبق طعام" أو صنفاً من الفاكهة لجارك القريب اليوم، وأخبره أنك تفعل ذلك محبةً في قرابته وجواره.

الفصل السابع

الجار الجُنُب.. حق الإنسانية والجوار البعيد

بعد أن نظمت الشريعة حق الجار القريب، انتقلت ببيانٍ إعجازي لتشمل دائرة أوسع: ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ **[النساء: 36]**. والجار الجُنُب في اللغة هو "البعيد"، ويشمل في التفسير معنيين عظيمين: الأول هو الجار الذي لا تربطك به صلة قرابة، والثاني هو الجار البعيد عنك في الدين أو الوطن. وفي هذا النص دلالة قاطعة على أن "الجوار" في الإسلام عقدٌ إنساني مقدس، لا تذيبه الفوارق ولا تمنعه الاختلافات.

أولاً: التأصيل الشرعي لحق الجار البعيد

إن وصف الجار بـ "الجُنُب" (أي الأجنبي عنك نسباً) جاء ليؤكد أن حق الجوار ثابتٌ بالأصالة، وليس تبعاً لحق القرابة. يقول الإمام الطبري في تفسيره: "الجار الجُنُب هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، وإنما هو جارٌ بقعةٍ ومكان" [تفسير الطبري، ج8، ص346]. وهذا الحق يمثل "المواطنة الصالحة" في أبهى صورها؛ حيث يأمن الجار جاره، ويحفظه في غيبته، ويواسيه في شدته، وإن لم تجمعهما "شجرة عائلة" واحدة.

ثانياً: شمولية الحق (الأمان والكرم)

حق الجار الجنب في الإسلام ليس مجرد كف أذى، بل هو منظومة من الإيجابية:

1. **الأمان المطلق:** هو الحق الذي لا يكتمل الإيمان إلا به؛ فلا يجوز ترويع الجار أو خيانته في ماله أو عرضه.
2. **المواساة والتفقد:** بالمعروف والقول الحسن والهدية، وهو ما يذيب الحواجز النفسية بين الجيران ويحول "البنايات الصامتة" إلى مجتمعات متراحمة.



ثالثاً: الجوار ميزان الإيمان

لقد جعل النبي ﷺ "الجار" معياراً دقيقاً لمعرفة صلاح العبد من فساده، فمن أثنى عليه جيرانه بالخير فهو محسن، ومن أثنوا عليه بالسوء فهو مسيء. وهذا المعيار ينطبق على الجار "الجنب" تحديداً؛ لأن شهادته تكون تجرداً من عاطفة القرابة، فتكون شهادة صدق.

أنوار نبوية

عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه» [رواه البخاري، رقم 6016]. والبوائق هي الغوائل والشرور. إن هذا القسم المغلظ من النبي ﷺ يخلع صفة كمال الإيمان عمن يؤذي جاره، ولو كان هذا الجار أجنبياً عنه في كل شيء، مما يبرز قدسية هذا الحق.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في الجوار البعيد)

1. **النبي ﷺ وجاره الذي يؤذيه:** تروي السير (وإن اختلف في تفاصيلها إلا أن معناها ثابت في أخلاقه) أن النبي ﷺ كان له جارٌ يضع الأذى في طريقه، فلما غاب الجار يوماً، سأل عنه النبي ﷺ، فكان مريضاً، فزاره النبي ﷺ في بيته. فكانت هذه الزيارة (حق الجار الجنب) سبباً في خجل الجار من نفسه ودخوله في الإسلام. إنها "دعوة الأخلاق" التي لا تُقاوم.
2. **عبد الله بن المبارك وجاره اليهودي:** كان لابن المبارك جارٌ يهودي، أراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم تبيع؟ فقال: بألفين؛ ألفٌ ثمن الدار، وألفٌ لجوار ابن المبارك. فلما سمع ابن المبارك بذلك، استدعاه وأعطاه الثمن وقال له: "لا تبيع دارك وابقَ جاراً لنا". هذه القصة تظهر كيف أن "الإحسان للجار الجنب" يرفع قيمة العقار ويجعل الجوار مكسباً يسعى إليه الناس.
3. **عمر بن الخطاب وتفقد الجيران:** كان عمر رضي الله عنه يعسُّ بالليل يتفقد الناس، فسمع امرأة تقول شعراً في شوقها لزوجها الغائب في الجهاد. فذهب وسأل عن حالها، وعرف أنها "جارة جنُب" لا عائل لها في غياب زوجها، فأمر بفرض نفقة لها وأرسل في استقدام زوجها، مراعاةً لحق جوارها وضعفها.

فقه الواقع: كيف نحيي حق "الجار الجنب" في مدننا المعاصرة؟

- **كسر "عزلة الشقق":** في العمارات الحديثة، قد يعيش المرء سنوات لا يعرف اسم جاره. ابدأ أنت بـ "إفشاء السلام" والسؤال عن الحال؛ فالمبادرة خُلق الأنبياء.
- **التكافل في الأزمات:** في حالات المرض أو الوفاة أو حتى انقطاع الكهرباء، كن أنت أول المساعدين لجيرانك؛ فالجار الجنب هو "الأهل" حين يغيب الأهل.



- **احترام الخصوصية:** من حق الجار الجنب ألا تطل على عوراته، وألا تزعجه بالأصوات العالية، وألا تضايقه في مواقف السيارات؛ فالإحسان يبدأ من عدم الإزعاج.

تمرين القلوب :تعاهد قلبك ألا تحمل ضغينة أو فضولاً تجاه خصوصيات جيرانك، واجعل نيتك أن يأمنوا "بوائقك" (شرورك).

خطوة عملية :إذا رأيت جارك "الجنب" اليوم، ابدأه بالسلام واسأله إن كان يحتاج مساعدة في أمرٍ ما، وإن رأيت أذىً أمام بابه فأمِطه عنه.

الفصل الثامن

الصاحب بالجنب.. الرفيق والزوجة والصديق

تنتقل الآية الكريمة من دائرة الجوار المكاني (البيوت) إلى دائرة "الملازمة" والرفقة: **﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: 36]**. والصاحب بالجنب هو كل مَن يضمك وإياه مكانٌ واحد أو هدفٌ واحد لفترة زمنية ما. هو الذي "جانَبك" أي صار إلى جنبك؛ سواء كان ذلك في سفر، أو عمل، أو دراسة، أو حتى جلسة عابرة. ولأن هذه العلاقة قائمة على "الاقتراب"، فقد أوجب الله فيها "الإحسان" ليمنع التجاوز ويحقق المودة.

أولاً: التأصيل الشرعي (من هو الصاحب بالجنب؟)

تعددت أقوال المفسرين في تحديد "الصاحب بالجنب"، وكلها تصب في نهر الإحسان للمرافق:

1. **الزوجة:** قال كثير من السلف -منهم ابن عباس- إنها الزوجة؛ لأنها أصحب الناس للرجل وألصقهم بجنبه في الحل والترحال [تفسير ابن كثير، ج2، ص300].
2. **رفيق السفر:** وهو الذي يرافقك في رحلة، فله حق المعونة والمواساة ومقاسمة الزاد.
3. **رفيق العلم والعمل:** كل من يجلس إلى جانبك في مكتب أو مقعد دراسة، فله حق بشاشة الوجه والنصح وكتمان السر.

ثانياً: شمولية الحق (كرم الرفقة)

حق الصاحب بالجنب في الإسلام يقوم على ثلاث ركائز:

1. **الأدب والتقدير:** فلا يرى منك الصاحب إلا طِيب المعشر، ولا يسمع منك إلا حُسن القول.
2. **بذل المعروف:** وهو إيثار الصاحب بما يحتاج، ومساندته إذا ضعف، ومداواته إذا مرض.
3. **كف الأذى والستر:** الصاحب يطّلع على عيوب صاحبه وزلاته بحكم القرب، فكان من أعظم حقوقه "الستر" وألا يغتابه أو يفشي سره.

ثالثاً: الصاحب بالجنب وحرمة "الخُلطة"

لقد حذر ختام الآية من "المختال الفخور"، وهو تحذير شديد الأهمية في "الصحبة"؛ فالصاحب الذي يفتخر على صاحبه بماله أو جاهه يفسد مودة الصحبة. لذا كان حق الصاحب بالجنب هو "التواضع" ليشعر الرفيق بالأنس لا بالنقص.

أنوار نبوية

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ الأصحابِ عند الله خيرُهم لصاحبِه، وخيرُ الجيرانِ عند الله خيرُهم لجاره» [رواه الترمذي، رقم 1944]. هذا الحديث يضع "معيار الخيرية" عند الله في مدى إحسانك لمن هو بجنبك، فبقدر ما تبذل لصاحبك من نفع، ترتقي منزلتك عند خالقك.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في الرفقة والوفاء)

1. **النبي ﷺ وأبو بكر في الغار:** أعظم صورة لـ "الصاحب بالجنب" في السفر هي صحبة أبي بكر للنبي ﷺ. حين دخل أبو بكر الغار قبل النبي ﷺ ليتفقد الثقوب ويسدها ببردته حتى لا يؤذى النبي، وحين قال له النبي ﷺ بقلب المحسن لرفيقه: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾. هذه الرفقة التي قامت على الفداء والمواساة هي النموذج الأعلى لهذا الحق.
2. **قصة الإيثار في الرفقة:** في معركة اليرموك، كان عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وعياش بن أبي ربيع جرحى يطلبون الماء. فحين أُتي بالماء لأحدهم، فنظر إلى صاحبه وقال: "اسقِه هو"، فذهب بالماء للثاني فنظر للثالث وقال: "اسقِه هو"، فماتوا جميعاً ولم يشربوا إيثاراً لـ "الصاحب بالجنب".
3. **الإمام الشافعي وصاحبه:** يُروى أن الشافعي مرض، فزاره صديق له وقال: "قوّى الله ضعفك"، فقال الشافعي مداعباً: "لو قوى ضعفي لقتلني"، فقال الصديق: "والله ما أردت



إلا خيراً"، فقال الشافعي: "والله لو سببتني لعلمت أنك ما أردت إلا خيراً". هذا هو كمال حق الصاحب في "حمل قوله على أحسن المحامل".

فقه الواقع: كيف نطبق حق "الصاحب بالجنب" اليوم؟

- **في بيئة العمل:** الصاحب بالجنب هو "زميل المكتب". حقه عليك ألا تنافسه بشراسة غير شريفة، وأن تستر عثرته المهنية، وأن تعينه في أعبائه إذا أُثقل.
- **في السفر والرحلات:** "في السفر يُعرف المخبر"؛ كن أنت الرفيق الذي يبادر بالخدمة (الذي يجمع الحطب أو ينظم المتاع)، ولا تكن "ثقيلاً" ينتظر الخدمة من الآخرين.
- **حق الزوجة (الصاحب الدائم):** تذكر أن زوجتك هي آكد "صاحب بالجنب". حقها أن ترى منك "حُسن الهيئة" كما تحب أن ترى منها، وحقها في "الكلمة الطيبة" التي تداوي جراح يومها، وحقها في "الاستشارة" والتقدير.

تمرين القلوب :انظر لمن بجانبك الآن (زوجة، زميل، صديق) واستشعر فضله عليك وصبره على عيوبك.

خطوة عملية :قل لزوجتك أو لصديقك كلمة ثناء صادقة على "جميل صحبته"، وتحمّل عنه اليوم عبئاً كان يقوم به وحده.

-

الفصل التاسع

ابن السبيل.. إكرام العابر والمنقطع

بعد أن رتبت الآية شؤون المستقرين في بيوتهم ومجتمعاتهم، التفتت بعين الرحمة إلى "العابرين"، فقالت: **﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: 36].** وابن السبيل هو المسافر الذي انقطعت به الأسباب في غير بلده، وسُمي "ابناً للسبيل" (أي الطريق) لملازمته له، وكأنه لا أم له ولا أب إلا هذا الطريق الذي سلكه. وفي هذا التعبير القرآني استدرار لعطف المسلمين ليقوموا مقام أهله في إكرامه وإعانته.

أولاً: التأصيل الشرعي (حق الغريب)

حق ابن السبيل في الإسلام هو حق ثابت أصالةً، سواء كان هذا المسافر فقيراً في بلده أو غنياً؛ فما دام قد انقطع عن ماله وأهله، فقد وجب له حق "الإحسان" و"المعونة". يقول الإمام الطبري: "ابن



السبيل هو المسافر الذي يجتاز بك في سفره، فأمر الله بالإحسان إليه بالقرى (الإكرام) والمعونة على سفره" [تفسير الطبري، ج8، ص348]. إن هذا التشريع هو الذي أوجد "الخانات" و"الأسبلة" في التاريخ الإسلامي، وجعل الغريب في ديار المسلمين آمناً مكرماً.

ثانياً: شمولية الإحسان (الإيواء والإرشاد)

يتجلى حق ابن السبيل في صور متعددة:

1. **حق الضيافة:** وهو إيواؤه وإطعام منقطع الطلب، وقد جعل النبي ﷺ الضيافة ثلاثة أيام حقاً واجباً (في كمال الإيمان).
2. **حق الإرشاد والمعونة:** فمن حق ابن السبيل أن يُهدى إلى الطريق إن ضل، وأن يُعان بالمال إن انقطع، وأن يُحفظ في عرضه وماله من لصوص الطريق.

ثالثاً: ابن السبيل ورسالة التكافل العالمي

إن الاهتمام بابن السبيل يرسخ فكرة أن "الأرض كلها للمؤمن مسجد ودار"، وأن المسلم لا يشعر بالغربة ما دام في مجتمع إسلامي يطبق آية النساء. هذا الحق يحطم "العنصرية" و"الإقليمية"؛ فابن السبيل يُكرم لكونه "إنساناً مسافراً" بغض النظر عن لونه أو لغته.

أنوار نبوية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» [رواه البخاري، رقم 6018]. والضيف هو نوع من أنواع "ابن السبيل". كما قال ﷺ في حقوق الطريق: «وإرشاد السبيل» [رواه أبو داود]. فإرشاد الضال وإعانة المحتاج في سفره هما من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر.

من وحي السيرة والتابعين (قصص في إكرام الغريب)

1. **أبو بكر الصديق والضيوف الثلاثة:** تروي السيرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه جاء بثلاثة من أهل الصفة (وهم من أبناء السبيل المنقطعين بالمسجد) ليعشيهم في بيته. ومن شدة إكرامه وبركة طعامه، كان كلما رفعوا لقمة ربت (زادت) من تحتها أكثر مما كانت، حتى شبعوا وفضل عنهم طعام كثير [رواه البخاري ومسلم]. هذا هو أثر "الإحسان" لغريب لا تعرفه إلا بوصف الإسلام.
2. **قصة كرم حاتم الطائي (الذي أقره الإسلام في مكارم الأخلاق):** يروى أن أعرابياً نزل ببيت كرم، فذبحوا له شاة، فلما أكل طابت له، فقال صاحب البيت: "ألك حاجة؟" قال: "أريد

أن تدلني على الطريق"، فخرج معه يفرش له برداءه ليمشي عليه تعظيماً للضيف ابن السبيل.

3. **عمر بن عبد العزيز وبيت مال المسلمين:** كان عمر بن عبد العزيز يضع في كل مدينة "داراً للضيافة" (خان)، ينزل فيها ابن السبيل يوماً وليلة، ويُعطى من علف دابته ما يكفيه، فإن كان مريضاً أنفق عليه حتى يبرأ، وإن كان منقطعاً أُعطي ما يوصله لبلده.

فقه الواقع: كيف نؤدي حق "ابن السبيل" اليوم؟

- **إغاثة المنقطعين في المطارات والطرق:** ابن السبيل اليوم قد يكون مسافراً فُقدت حقائبه، أو تاه في بلد غريب. الإحسان إليه يكون بمساعدته في التواصل مع أهله أو تأمين مبيت كريم له.
- **رعاية المغتربين والطلاب:** طالب العلم الذي يعيش بعيداً عن أهله هو "ابن سبيل" مستمر الجوار. حقه أن يُدعى لمائدتك، وأن يُشعر بـ "جو الأسرة" ليخفف عنه ألم الغربة.
- **اللاجئون والمشردون:** هؤلاء هم "أبناء السبيل" الحقيقيون في زماننا؛ فقد انقطعت بهم الأسباب قسراً. حقهم يتجاوز الصدقة إلى "الإيواء الكريم" والمساعدة في الاستقرار والعمل.

تمرين القلوب **:**تذكر يوماً كنت فيه غريباً أو مسافراً واحتجت للمساعدة، واجعل قلبك مأوىً لكل منقطع.

خطوة عملية **:**إذا مررت بعامل مغترب أو مسافر تائه، بادر بمساعدته (بالدلالة على الطريق أو بجرعة ماء)، واشعره أنه بين أهله.

الفصل العاشر

ما ملكت أيمانكم.. الخدم والعمال والرفق

تختم الآية الكريمة قائمة الحقوق بلفظ: **﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: 36]**. وهذا التعبير كان يشمل في زمن التنزيل "الأرقاء"، ولكن بمقاصد الشريعة وقواعد القياس، يمتد هذا الحق في عصرنا ليشمل كل مَن هم تحت يدك وبيت طاعتك من "الخدم، والعمال، والأُجراء"، بل وحتى



"الحيوان" الذي تملكه وتنتفع به. إنه حقُّ "الرفق بمن لا حيلة له"، واختبار الإيمان في التعامل مع مَن لا يملك ردَّ الأذى عن نفسه.

أولاً: التأصيل الشرعي (حق الولاية والرعاية)

لقد جاء الإسلام والرق نظامٌ عالمي، فجعل "حقوق المماليك" موازية لحقوق الأحرار في المطعم والمشرب والكرامة، وفتح كل أبواب "العتق" لإنهاء هذا النظام. واليوم، يأخذ "العامل والخدم" حكم هذه الآية من حيث "وجوب الإحسان". يقول الإمام القرطبي: "أمر الله بالإحسان إلى ما ملكت اليمين، وذلك يتضمن الرفق بهم، وتفقد أحوالهم، وترك تكليفهم ما لا يطيقون" [الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص188]. إن الولاية على الغير أمانة سيسأل الله عنها صاحبها: "أأدّاها أم ضيعها؟".

ثانياً: ركائز التعامل (الأخوة والكرامة)

حق من ملكت يمينك أو استأجرت جهدك يقوم على مبادئ ثابتة:

1. **المساواة في الحاجات الأساسية:** فلا يأكل صاحب العمل طيباً ويطعم عامله نفاية، ولا يسكن قصراً ويترك خادمه في مكان لا يليق بآدميته.
2. **عدم التكليف فوق الطاقة:** فإذا كلفه عملاً شاقاً، وجب عليه أن يعينه فيه بنفسه أو بغيره.
3. **توفير الأمن النفسي:** وهذا أهم الحقوق؛ ألا يشعر الخادم بالذلة أو الدونية، وأن يُحفظ له حق "النداء الكريم" والكلمة الطيبة.

ثالثاً: الارتباط بالنهي عن الاختيال

جاء ذكر "ما ملكت أيمانكم" قبل الختام بـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ مباشرة؛ لأن القوة والمال غالباً ما يدفعان الإنسان للتكبر على من هم تحت يده. فكان الإحسان للخدم هو الترياق الفعال لمرض "الكبر"، فمن تواضع لخادمه فقد برئ من الكبر.

أنوار نبوية

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إخوانكم خولكم (خدمكم)، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» [رواه البخاري، رقم 30]. وفي وصفهم بـ "إخوانكم" أعظم ثورة اجتماعية في تاريخ البشرية؛ حيث ألغى النبي ﷺ الفوارق الطبقية وجعل "رابطة الأخوة" هي الحاكمة.



من وحي السيرة والتابعين (قصص في الرفق والعدالة)

1. **أنس بن مالك وخدمة عشر سنين:** يقول أنس رضي الله عنه: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ قط، ولا قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته: لِمَ تركته؟" [رواه البخاري ومسلم]. عشر سنوات من الخطأ والصواب لم يسمع فيها الخادم كلمة توبيخ واحدة؛ وهذا هو قمة "الإحسان" المذكور في الآية.
2. **أبو ذر الغفاري وبردته:** رأى أحد التابعين أبا ذر وعليه بردة (ثوب) وعلى غلامه (خادمه) بردة مثلها تماماً، فسأله عن ذلك؟ فذكر له حديث النبي ﷺ «أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون». لقد طبق الصحابة النص بحرفه وروح الإيثار فيه.
3. **عمر بن الخطاب وغلامه في السفر:** رُوي أن عمر رضي الله عنه كان في سفره يتناوب الركوب مع غلامه على الدابة؛ يركب عمر فترة، ثم ينزل ليركب الغلام فترة وعمر يمشي. فدخل القدس وهو يمسك بزمام الدابة وغلامه راكب (لأن النوبة كانت للغلام). هذا هو العدل الذي لا يعرفه إلا من تشرب روح القرآن.

فقه الواقع: كيف نؤدي حق "العمال والخدم" اليوم؟

- **إعطاء الأجير أجره:** تطبيقاً لقوله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه». ومن الظلم العظيم تأخير رواتب العمال أو بخسهم حقوقهم.
- **الرفق بالخادمات في البيوت:** الخادمة إنسانة تغربت عن أهلها لتعولهم؛ حقها في "ساعات راحة" كافية، وحقها في "الاتصال بأهلها"، وحقها في "الاحترام" من جميع أفراد الأسرة وخاصة الأطفال.
- **حق الحيوان:** بما أن الحيوان "مما ملكت أيماننا"، فحقّه ألا يُحمل فوق طاقته، وأن يُطعم ويُسقى، وقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها، ودخل رجل الجنة في كلب سقاه.

تمرين القلوب :تذكر أن الله "أقدرُ عليك منك عليهم"، وتواضع لمن هم تحت يدك خضوعاً لله.

خطوة عملية :أعطِ الخادم أو العامل عندك "وقت راحة" إضافياً اليوم، وقدم له كوباً من العصير بيدك، واشكره بلفظ "يا أخي."



الفصل الحادي عشر

حقوق متممة لعقد الإيمان

إذا كانت "آية الحقوق العشرة" قد رسمت لنا خريطة التعامل مع الخالق والخلق، فإن هذه المنظومة لا تكتمل إلا ببيان ركنين ركينين قامت عليهما الشريعة؛ وهما: حق الواسطة بيننا وبين الله (النبي ﷺ)، وحق الوعاء الذي يحمل هذا الدين (النفس البشرية). فبدون اتباع النبي ﷺ لا نعرف كيف نؤدي الحقوق، وبدون تزكية النفس لا نقوى على الالتزام بها.

أولاً: حق النبي ﷺ.. الاتباع والمحبة

يأتي حق الرسول ﷺ مكملاً لحق الله تعالى؛ إذ لا يُقبل توحيدٌ إلا بتصديق رسالته، ولا تُعرف عبادةٌ إلا بسنته. وحقه ﷺ يتلخص في:

1. **المحبة المقدمة:** أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا والناس أجمعين.
2. **التوقير والنصرة:** بتوقير سنته والذود عن عرضه وشريعته.
3. **الطاعة والاتباع:** وهو مقتضى "الحق"؛ فلا نبتدع في الدين ولا نردُّ أمراً صحَّ عنه. يقول القاضي عياض: "اعلم أن مَن أحبَّ شيئاً آثره وآثر موافقته، فمن كان صادقاً في حب النبي ﷺ ظهرت علامة ذلك عليه، وأولها الاقتداء به" [الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج2، ص24].

- **تمرين القلوب:**

1. استشعر رحمة النبي ﷺ بك حين ادخر دعوته المستجابة "شفاعة لأمتي"، وعِش لحظات من الشوق للقائه على الحوض.
2. راجع "قائمة أولوياتك"؛ هل كلام النبي ﷺ وسنته لها الكلمة العليا عند الخلاف أو الهوى؟
3. استشعر غربة السنة في زمننا، وانوِ بقلبك أن تكون "غريباً" متمسكاً بهديه ﷺ مهما كلفك الأمر.

- **الخطوات العملية:**

1. **إحياء سنة مهجورة:** اختر سنة ثابتة كنت تغفل عنها (مثل: ركعتي الضحى، أو أذكار الصباح، أو الوضوء قبل النوم) وطبقها اليوم بنية "الوفاء بحقه ﷺ".



2. **تعلم حديث:** احفظ حديثاً واحداً من "جوامع كلمه" اليوم، وعلمه لأهل بيتك أو انشره في وسيلة تواصل بنية نشر نوره.
3. **الصلاة الإبراهيمية:** خصص وقتاً مركزاً (ولو 5 دقائق) للصلاة على النبي ﷺ بالصيغة الإبراهيمية كاملة، مستحضراً معاني السيادة والبركة له ﷺ.

ثانياً: حق النفس.. التزكية قبل التحلية

قد يظن البعض أن "النفس" لا حق لها، بل الحقوق عليها، ولكن الإسلام أكد أن لنفسك عليك حقاً. وهذا الحق يتمثل في "التزكية" (تطهيرها من الآفات كالكبر والبخل) وفي "الرفق" (إعطاؤها حقها من الراحة والمباح). فالنفس هي المطية التي تحمل العبد إلى ربه، فإن أرهقها انقطعت، وإن أهملها ضلّت. وهذا يتقاطع مع ختام الآية 36 في النهي عن الاختيال؛ لأن المختال هو إنسان أهمل "حق نفسه" في التواضع، فأوردها موارد الهلاك.

- **تمرين القلوب:**

1. قف أمام المرآة وانظر لنفسك كأمانة استودعك الله إياها، واسأل: "هل أنا أسوق هذه النفس للجنة أم للهلاك؟".
2. مارس "التخلية" القلبية؛ ركز على خُلق واحد ذميم (كالحسد أو الغضب) وانوِ بصدق تطهير نفسك منه اليوم.
3. استشعر قيمة "الوقت" كحق أصيل لنفسك؛ فكل دقيقة تضيع في غير نفع هي جناية منك على حق نفسك.

- **الخطوات العملية:**

1. **خلوة التزكية:** اعتزل الناس والهاتف لمدة 15 دقيقة، حاسب فيها نفسك على تقصير اليوم، واستغفر الله بنية "تطهير الوعاء".
2. **إكرام البدن:** أعطِ جسدك حقاً ملموساً (نوم كافٍ، أو أكلة صحية، أو رياضة خفيفة) بنية "التقوّي على طاعة الله".
3. **كف الجوارح:** ألزم نفسك اليوم بـ "صيام عن فضول الكلام" أو "غض بصر" متعمد، لتشعر بزمام قيادة نفسك لا انقيادك لها.



ثالثاً: حقوق المجتمع العامة (حقوق المسلم على المسلم)

هناك حقوق عامة تجعل من المجتمع المسلم كتلة واحدة، وهي التي ذكرها النبي ﷺ في قوله: «حقُّ المسلمِ على المسلمِ ستٌّ...» [رواه مسلم، رقم 2162]. وهي تشمل: إفشاء السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، والنصيحة. هذه الحقوق هي "الزيوت" التي تمنع احتكاك النفوس وتجعل تروس المجتمع تدور بسلام.

- **تمرين القلوب:**

1. استحضر صورة "الجسد الواحد"؛ حاول أن تشعر بألم مسلم لا تعرفه في أقاصي الأرض وادعُ له بظهر الغيب.
2. طهر قلبك من "الشحناء" تجاه أي مسلم، واستحضر أن "سلامة الصدر" هي أعلى مراتب حقوق الأخوة.
3. استشعر أن كل مسلم تقابله هو "أخٌ" لك في الله، يستحق منك التقدير لمجرد كونه يشهد أن لا إله إلا الله.

- **الخطوات العملية:**

1. **إفشاء السلام:** تعمد اليوم أن تسلم على من عرفت ومن لم تعرف من المسلمين ببشاشة وجه، محققاً نص الحديث الشريف.
2. **إجابة وتشميت:** إذا دُعيت لجنازة فاتبعها، أو سمعت عاطساً فشمته، أو علمت بمريض فعده؛ طبق واحدة من "الست الواجبة" اليوم فعلياً.
3. **نصيحة بظهر الغيب:** ادعُ لثلاثة من المسلمين (بينك وبين نفسك) بكل خير تتمناه لنفسك، فالملك يقول لك: "ولك بمثل".

أنوار نبوية

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال له: «فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزَوْرِك (ضيفك) عليك حقاً» [رواه البخاري، رقم 1975]. هذا الحديث هو "وثيقة الحقوق النفسية والبدنية" التي تمنع الإنسان من الغلو أو التقصير، ليبقى متوازناً قادراً على العطاء.



من وحي السيرة (قصص في الوفاء والاتباع)

1. **ثوبان وشدة محبته:** كان ثوبان مولى النبي ﷺ شديد الحب له، غاب عنه يوماً ثم جاءه وقد تغير لونه ونحل جسمه، فقال له النبي ﷺ: «ما غيّر لونك؟»، فقال: يا رسول الله، ما بي مرض، غير أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف ألا أراك؛ لأنك تُرفع مع النبيين، وأنا إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى. فنزل قوله تعالى: **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾ [النساء: 69].** هذا هو حق المحبة الذي يرفع العبد لأعلى الدرجات.
2. **عبد الله بن عمر والاتباع الدقيق:** كان ابن عمر رضي الله عنهما من أشد الناس اتباعاً لآثار النبي ﷺ؛ فكان يحرص على الصلاة في الأماكن التي صلى فيها، بل ويحني رأسه في طرقات مكة في أماكن كان النبي ﷺ يحني رأسه فيها (خوفاً من شجر كان هناك قبل أن يُقطع)، وفاءً وتلذذاً بالاقتداء.
3. **أبو الدرداء وحق النفس والغير:** دخل سلمان الفارسي على أبي الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة (لا تهتم بمظهرها)، فسألها؟ فقالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا (يصوم النهار ويقوم الليل). فلما جاء أبو الدرداء وضع طعاماً لسلمان، فقال سلمان: كل، قال: إني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. فبات سلمان عنده، فقام أبو الدرداء في أول الليل، فقال له سلمان: نم، ثم قام، فقال له: نم. فلما كان آخر الليل قال: قم الآن. ثم قال له سلمان كلمته الخالدة التي أقرها النبي ﷺ: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه».

فقه الواقع: متممات الحقوق في حياتنا

- **إحياء السنة في البيوت:** حق النبي ﷺ اليوم هو أن تكون سنته هي "الحكم" في خلافاتنا الأسرية والاجتماعية.
- **التوازن النفسي:** في زمن الاحتراق الوظيفي والضغوط النفسية، حق نفسك عليك أن تأخذ قسطاً من الخلوة مع الله، وقسطاً من الترويح المباح، لتعيد شحن روحك.
- **النصيحة والمؤازرة:** متمم الحقوق الاجتماعية هو ألا نكون جزرًا منعزلة؛ بل نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر.



الخاتمة

ثمار الحقوق ونداء الإحسان

بعد هذه السياحة الإيمانية في ظلال آية الحقوق الكبرى، ندرك أن الإسلام لم يترك الإنسان هائماً في فوضى العلاقات، بل رسم له هندسة اجتماعية دقيقة، تبدأ من سماء التوحيد **﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾** وتنتهي عند أدق تفاصيل التعامل مع الضعفاء والخدم **﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾**. إنها مسيرةٌ من "الإحسان" المتبادل الذي يحوّل المجتمع من غابةٍ من المصالح إلى واحةٍ من التراحم.

أولاً: الثمرة الكبرى (المجتمع الجسد)

إن تطبيق هذه الحقوق العشرة ومتمماتها ليس مجرد "أخلاقيات مثالية"، بل هو ضرورة وجودية؛ فحين يُؤدى حق اليتيم، ويُكرم الجار، ويُغاث ابن السبيل، ويُبَر الوالدان، يتشكل "المجتمع الجسد" الذي وصفه النبي ﷺ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. الثمرة هنا ليست مادية فحسب، بل هي "السكينة النفسية" و"الأمان المجتمعي" الذي تبحث عنه البشرية اليوم في القوانين الوضعية فلا تجده إلا في شرع الله.

ثانياً: التحذير الأخير (آفة الكبر والاختيال)

لقد ختم الله الآية بإنذارٍ شديد: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾**. وفي هذا إشارةٌ عبقرية إلى أن العائق الوحيد الذي يمنع الإنسان من أداء هذه الحقوق هو "تضخم الأنا". فالمختال يرى نفسه أعظم من أن يتواضع لمسكين، والفخور يرى ماله أثمن من أن يضيعه على قريب أو جار. إن "الاختيال" هو السمُّ الذي يقتل روح الإحسان، لذا كان ختام الكتاب دعوةً للتطهر من الكبر ليكون القلب قابلاً لاستنبات بذور هذه الحقوق.

أنوار نبوية (مسك الختام)

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» [رواه الترمذي، رقم 1924]. هذه هي القاعدة الذهبية التي



لخصت فصول كتابنا؛ فكل حقٍّ أديته لمخلوق هو في حقيقته "رحمةٌ" منك تستمطر بها "رحمة" الخالق سبحانه.

من وحي السيرة (الرحيل والوصية)

حين حضر النبي ﷺ الموت، لم تكن وصيته عن السلطة أو الجاه، بل كانت تلخيصاً للحقوق الكبرى. صرخ في الناس وهو في سكرات الموت: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم» [رواه أحمد]. لقد جمع في آخر أنفاسه بين "حق الله" (الصلاة) وبين "حق الضعفاء" (ما ملكت أيمانكم)، لتبقى هذه الوصية دستوراً للأمة من بعده، تذكرهم بأن الدين "عبادةٌ وإحسان".

نداء القلوب (رسالة إلى القارئ)

أخي القارئ، إن هذا الكتاب لم يُكتب ليزين الرفوف، بل ليغير النفوس. إن كل فصل قرأته هو "أمانةٌ" في عنقك؛ فابدأ من اليوم بترجمة هذه النصوص إلى واقع:

- أعطِ والديك "نظرة رضا" قبل أن تنام.
- تفقد جارك بـ "رسالة مودة".
- امسح على رأس يتيم بـ "كفّ حانية".
- جدد عهدك مع الله بـ "سجدة شكر".

بهذا نخرج من دائرة "الفخر" بامتلاك العلم، إلى دائرة "الإحسان" بالعمل بما علمنا. نسأل الله أن يتقبل منا هذا الجهد، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجمعنا في مستقر رحمته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



ثبت المصادر والمراجع

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد؛ فهذا ثبتٌ بالمصادر التي استند إليها هذا الكتاب في تأصيل "الحقوق الكبرى"، مقسمةً إلى مراجع البحث الفعلية، ومقترحات للاستزادة المعرفية.

أولاً: المراجع التي اعتمد عليها الكتاب (بناء المحتوى)

لقد تم توثيق النقول والآراء في ثنايا الفصول بالرجوع إلى المصادر الأم، وهي:

1. في التفسير وعلوم القرآن:

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :**للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (المصدر الرئيس للتأصيل التربوي للآية).
- **الجامع لأحكام القرآن :**للإمام القرطبي (لفهم الدلالات الفقهية واللغوية للحقوق).
- **تفسير القرآن العظيم :**للإمام ابن كثير (لربط الآيات بآثار السلف).
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن :**للإمام الطبري (لتحقيق معاني الألفاظ كابن السبيل والجار الجنب).

2. في السنة النبوية وعلومها:

- **الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري) :**للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
- **المسند الصحيح (صحيح مسلم) :**للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- **الأدب المفرد :**للإمام البخاري (المصدر الأساسي لأحاديث البر والصلة والجوار).



3. في السيرة والرقائق:

- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين :**للإمام ابن القيم (في تأصيل حقوق الله وتزكية النفس).
- **الرحيق المختوم :**للشيخ صفي الرحمن المباركفوري (في استخراج المواقف التطبيقية للسيرة).
- **صفة الصفوة :**للإمام ابن الجوزي (في استقاء قصص التابعين والصالحين في أداء الحقوق).

ثانياً: لمن أراد الاستزادة (دليل القراءة المقترح)

للقارئ الراغب في التوسع في فقه الحقوق والأخلاق الإسلامية، نوصي بقراءة الكتب التالية:

1. **حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة :**للشيخ محمد بن صالح العثيمين؛ وهو كتيب مركز وواضح جداً في ترتيب الحقوق.
2. **خلق المسلم :**للشيخ محمد الغزالي؛ يمتاز بأسلوب أدبي رفيع يربط الأخلاق بواقع الحياة المعاصر.
3. **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ :**(مجموعة مؤلفين)؛ وهو موسوعة كبرى وشاملة لكل خلق وحق مع أدلته من الكتاب والسنة.
4. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى :**للقاضي عياض اليحصبي؛ لمن أراد التعمق في الفصل الحادي عشر المتعلق بحقوق النبي ﷺ.
5. **دستور الأخلاق في القرآن :**للدكتور محمد عبد الله دراز؛ دراسة تحليلية عميقة لفلسفة الأخلاق والحقوق في النص القرآني.

عن المؤلف وكتبه

✦التعريف بالمؤلف:

الدكتور **سعد جبر**، أكاديمي مصري واستشاري التدريب الإعلامي، **ومن علماء الأزهر الشريف،** عمل عميدًا لكلية الإعلام بجامعة باشن العالمية، ويشغل حاليًا منصب وكيل الكلية.

قام بتدريس مواد الإذاعة في **أكاديمية الأمير أحمد بن سلمان** للإعلام التطبيقي بالمملكة العربية السعودية، وأسهم في تدريب عدد كبير من الإعلاميين العرب في مجالات الصحافة والعلاقات العامة والإذاعة والتلفزيون وبالفضائيات، كما قام بالتدريس لطلاب الجامعات والمدارس بعدة دول، كما قام بالتدريب على الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في التعليم والتدريب.

كما يشرف على **منصات تعليمية،** ويعمل استشاري في عدة مراكز إعلامية، ومستشار لعدد من **المؤسسات غير الربحية**، له رصيد علمي وإبداعي يقترب من **100كتاب** في مجالات متنوعة تشمل الإعلام، الفكر، التربية، والأسر المنتجة والمشاريع الصغيرة والمتوسطة والتفسير والعلوم الإسلامية والابتكار، **يؤمن بأن الأسرة هي أساس المجتمع المترابط ومحضن الفرد المتوازن، وأن بناء المجتمع يبدأ ببناء الإنسان أولًا، كما يركز على رعاية الموهوبين، وبناء الحاضنات الإعلامية للمؤسسات وأكبر أهدافه مساعدة الجميع على النجاح.**

📝 مؤلفات الدكتور سعد جبر :

م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
.1	أحاديث الحب النبوية	.2	انستجرام الإمام
.3	الأربعين الخيرية	.4	حفلة تفكرية
.5	خواطر مسجدية "السيرة"	.6	30 يوم حاسمة
.7	خواطر مسجدية " التفسير"	.8	جيل زد
.9	مختصر أحاديث الأدب النبوي	.10	مصحفي ورحلة العودة إليه
.11	شرح الأربعين العلمية	.12	زواج بنات النبي ﷺ
.13	هل يحل القرآن مشكلتي؟	.14	البوصلة
.15	من أجل أن تزهر الروح	.16	سبع عجاف
.17	السبعة الكبار	.18	بوصلة القلوب
.19	الأربعين النبوية	.20	رحلة المتوكلين
.21	30خاطرة للتراويح	.22	الإطار القيمي للأسرة
.23	خمسون رسالة للإمام	.24	ملخص خمس كتب
.25	لطائف وفرائد قرآنية	.26	الجامعة وصناعة الوعي المجتمعي
.27	الإعلام المفقود في التعليم	.28	كود التأثير
.29	الذكاء الروحي	.30	رسائل متبادلة مع جيل زد
.31	الذكاء الاصطناعي وأطفالنا	.32	سفر التكوين السياسي
.33	الصبر الإداري	.34	دبلوم التدريب السياسي



م	اسم الكتاب	م	اسم الكتاب
.35	الأسر المنتجة تمكين وإبداع	.36	وعن الرضا قالوا
.37	حرب المخدرات	.38	الكرب والدعاء
.39	المدرب الجديد وإذابة الجليد	.40	مسرحية دمى
.41	تسويق المشاريع غير الربحية	.42	أعشاب الجهاز الهضمي
.43	وداعا للبطالة	.44	لماذا ننشغل بالسياسة ؟
.45	دليلك إلى الدخل القليل الدائم	.46	الذكاء التسويقي
.47	مصانع الإنسان	.48	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة
.49	25صفحة ستغير حياتك	.50	النقد أولاً
.51	ديون "قوافل" شعر	.52	الدعاة وفضائح إبستين
.53	أسرار الكتابة الدرامية	.54	ببساطة كيف تصنع الثروات ؟
.55	هل تريد أن تؤلف كتاباً ؟	.56	في بيتنا سؤال؟
.57	كيف تمطر سحابة فكرك؟	.58	حكاية القائد البطيء
.59	التمكين والشراكة	.60	القيادة التحويلية
.61	مش قد الشيلة ؟	.62	حظيرة الخنازير الغربية
.63	حكايات مؤثرة	.64	أسرار النجاح في المشاريع الصغيرة
.65	حبات من سنبلة الفجر	.66	هل تعريف كيف تصلي عليه ؟
.67	الرد على الشيخ الددو	.68	إعداد التقارير الإدارية باحترافية
.69	خطب الحيوان الغريب	.70	شحاذ الإشارة –
.71	بروتوكول المبادرات المجتمعية	.72	حين يسجد الكون ..
.73	توني بلير -المندوب السامي الجديد	.74	سر السعادة الإحسان إلى الخلق
.75	الخرس الأسري	.76	تحديات خاصة لشباب الإسلام
.77	الجزائر وحزام السافانا	.78	فن الفشل الجميل
.79	دليلك لاستثمار عقاري ناجح	.80	كسر الجليد طبعة تميز – طبعة مزيدة ومنقحة
.81	أزمة ثقة	.82	كيف تكون نجما على اليوتيوب
.83	الرجل النعجة	.84	عوامل نجاح وفشل مشاريع التعليم الإليكتروني
.85	ست ستات من غير رجل	.86	دبلوم القيادة الميدانية بالمنظمات غير الربحية
.87	فنون الهدنة النفسية	.88	مشكلات وحلول من حياة الرسول ﷺ
.89	الهجرة فقه جديد	.90	خمسين خطبة جمعة منتقاة
.91	المقام الإنساني بين أربعة عوالم	.92	عبد المال
.93	أكذوبة القاعدة	.94	الأسباب الحقيقية للفقر والغنى
.95	الاغتنام والاستغنام	.96	الجور والفجور
.97	الحملات الإعلامية الاحترافية	.98	معجزات العصر في أفغانستان
.99	علو ودنو الهمة	.100	كارثة أبناء المهاجرين
.101	ملخصات 23 كتاب لرجال الأعمال	.102	تشابهن قلوبهم
.103	مستويات الحب	.104	اثبت أحد
.105	الحقوق الكبرى	.106	

للتواصل وطلب أي كتاب من د. سعد جبر - الجزائر: 00213673956106 - saadjabr@gmail.com

